الدكتور شاخت

دعامة الريخ الاقتصادية

تمكنت المانيا ، بالسعي المستمر ، مدى عقد كامل من السنين ، تهدد تارة وتغضب طوراً وتلين اخرى ، من أن تخفف عبء التعويضات رويداً رويداً حتى خلصت منهُ في مؤتمر لوزان سنة ١٩٣٢ الا مبلغاً يحسب يسيراً اذا قوبل بالارقام الاولى . وهي تحاول الآن ، بالعزم الحاسم نفسه ، ان تتخلص من قيود معاهدات الصلح ، وخاصة ما كان منها مرتبطاً بالتسلح وتبعة الحرب ، بل قد وجهت أنظارها كذلك الى تخفيف أعباء الديون التجارية الخاصة التي اقترضت معظمها من اميركا وبريطانيا وسويسرا وهولندا وغيرها من البلدان

فأنت ترى ان المانيا سائرة سيراً حثيثاً في سبيل التفلت من القيود العسكرية والمالية التي فرضت عليها نتيجة لهزيمتها في الحرب الكبرى ، وأخذت تستعيد مكانتها الاولى في قارة اوربا . وقد كان للدكتور شاخت مدير بنك الريخ (الرايخسبنك) سابقاً مكانة خاصة وأثر كبير في هذا العمل العظيم. فالدكتور شاخت هو العقل المرشد للنظام النازي في الناحية الاقتصادية ، كما كان للحكومات الجمهورية التي سبقته . فهو في المانيا دليل على استقرار النظام الاقتصادي والمالي ، أو هو عامل يحول دون القيام بتجارب اقتصادية ونقدية تخالف الاصول المرعية عند علماء الاقتصاد كما يفعلون في اميركا. فوجوده في الرايخسبنك او في وزارة المالية او وزارة الاقتصاد يمكن ان يؤخذ ضماناً على ان المانيا لن تحاول على الأقل فيما يختص بنظام البنوك ان تخرج على التقاليد ، لانهُ بعد ما ثبت سعر المارك لن يرضى بأن يقلقله مقلقل أيّاً كان

نعم أن موقفه هذا ، قد يغضب بعض المتطرفين من أنصار هتلر ، المعارضين للفلسفة الرأسمالية لأن هؤلاء كانوا يظنون أنهم يستطيعون ان يقنعوا الفوهرر هتلر ، بأن الريخ الثالث يجب ألا ينقل نفسه ، ببقايا حضارة رأسمالية كالنقد القائم على قاعدة الذهب . ولكن الدكتور شاخت معروف بشدة الاخلاص في نزعته الوطنية ، ولذلك لا يستطيع أحد أن يتهمه بما اتهم به أنصار النظام السابق . ومع انهُ من المنضمين حديثاً الى الايمان بالدكتاتورية الا أن لضالته الشديد ، قبل قيام النازي ، في سبيل الوحدة الالمانية ، واليمت الالماني ، يجعل له مقاماً خاصاً في المانيا النازية . فقد ندد من قبل بمعاهدة الصلح ، وباحتلال بلاد الرين ، وقاوم مشروع يونغ ، وهو الآن يوجه عنايته الى حماية الاقتصاد الالماني ، من التدهور ، والى نفس الدفعات التي تسدد الى دائني المانيا التجاريين ، حتى لا ترهق هذه الدفعات استقرارها المالي المنشود

والدكتور شاخت ، بخلاف منتاغو نورمان مدير بنك انجلترا ، والمسيو مورييه مدير بنك فرنسا ، لا يكتفي ، ولم يكتف من قبل ، بحصر جهاده في ميدان المال والاقتصاد ، بل كانت له مواقف وطنية مشهودة ، وخطب سياسية ، يرضى عنها جميعاً ، أشد النازي تطرفاً وعنفاً في الوطنية. فالمستر منتاغو نورمان اذ يعبر البحر الى اميركا يفعل ذلك متخفياً تحت اسم مستعار في الغالب . أما الدكتور شاخت ، فلا يخفي اسمه ولا يمسك عن ابداء آرائه ، بل ان بعض رحلاته الى الخارج كانت حملات عنيفة من الدعاية لالمانيا . ففي خلال احتجاجات لجنة دوز في باريس كان الدكتور شاخت على ميعاد مع رئيس الوزارة الفرنسية المسيو بوانكاريه ، فلما طال انتظاره خمساً وعشرين دقيقة قام وانصرف احتجاجاً على هذا التأخر ، فلحق به رسول واقنعهُ بأن الانتظار كان لسوء تفاهم في ضرب الميعاد . ولما سافر البلون Z. R. 3 من المانيا الى اميركا — وكان قد بني في المانيا لاميركا وفقاً لمعاهدة الصلح وكان آخر بلون يحق لالمانيا بناؤه — انفطر قلب الدكتور شاخت غضباً وقال « ان هذا مثال مخيف لبغضهم وحسدهم وطلبهم الثأر » !

ولما تطورت الحال في المانيا ، وزاد تبرمها بالحالة الناجمة عن معاهدة فرساي ، حتى كاد يصبح التبرم ثورة ، زال من ميدان السياسة الالمانية ، رجال امثال برويننغ وكرسيوس ، وقام مقامهم رجال من نوع هتلر وجوبلس وجورنج ، وهم رجال يتصفون في مقدمة ما يتصفون به بوطنية ملتهبة ، وخطابة نارية ، ومقدرة نادرة في الدعاية . وهذا الانقلاب لم يكن يختلف اختلافاً عظيماً عن طبيعة الدكتور شاخت ونشأته . بل انهُ ، والحق يقال ، من الرجال الذين مهدوا له السبيل ، لانهُ من الوطنيين الالمان القلائل الذين ثاروا من البدء على معاهدة الصلح ، وخاصة ما كان مرتبطاً منها بالتعويضات وذلك قبل ان يتقلد النازي زمام الامر ، ويبثوا هذه الروح في صفوف الامة الالمانية

وللدكتور شاخت آراء حاسمة ، وطبع لا يقبل المهادنة . ثم انهُ ليس رجلاً يصرف همه الى الادارة ، والاختصاص بمسائل المال والنقد فحسب ، بل هو ادرك من معالجته للشؤون الاقتصادية الاخطاء التي تتعرض لها المانيا اذا ظلت سائرة على الخطط الاقتصادية التي وضعت في معاهدة فرساي . لذلك لم يكتف بكتابة المذكرات الفنية والاقتصادية والمالية لدولته ، بل كان يلقي الخطب ويكتب المقالات معرباً فيها ، في المانيا وخارجها ، عن آرائه الحاسمة في هذه الموضوعات

وهو من اصل مكسوفي وضيع ، ولد في شلزويج هولشتين سنة ١٨٧٧ — كانت هذه المقاطعة خاصة بالدانمارك فضمها بسمارك الى المانيا ، ثم ضم شطر منها الى الدانمارك بعد الحرب الكبرى — وكذلك نشأ في احدى المقاطعات الواقعة عند حدود المانيا ، فنشأت نزعته الوطنية قوية عنيفة . وعاش والده في اميركا ، وهو حدث ، فتفرست في نفسه الاصول الديموقراطية وقد ظل مؤمناً بالديموقراطية واساليبها الى عهد قريب . ففي سنة ١٩٢٩ القى خطبة في مونيخ — مدينة البيت الاسمر مقر حركة النازي — فقال فيها : يخطىء الذين يظنون اننا نستطيع ان نعالج هذا الارث

المرهق — قيود معاهدة فرساي — بوسائل دكتاتورية . واني ما زال ارجو ان يقف الرجال الذين يهمهم مستقبل المانيا موقفاً مشرفاً يستند الى المبادىء الديموقراطية ، لأن من هذه المبادىء دون غيرها ، ينبع العمل الجدي لانقاذ المانيا »

ترى ما كان رأي هتلر يومئذ في هذه الكلمات !

ولكن الحوادث ايدت هتلر ، ولم تكن شجرة الديموقراطية الالمانية التي قام هتلر لاقتلاعها ، الا غرسة ضعيفة ، وقد دبّ اليها النخر قبل ان تشتدّ ، فلم تثبت في وجهه

بعد سنة من القاء خطبته في مونيخ ، انفصل الدكتور شاخت ، عن وزارة الدكتور برونتج — وقد كانت آخر حكومة جمهورية صميمة في المانيا — باستقالته من الريخسبنك وتنديده بمشروع برونج للتسديد بالتعويضات . ذلك ان غضبهُ على التعويضات وحنقه على قيود معاهدات الصلح ، كانا اقوى في نفسه من تعلقه بالمبادىء الديموقراطية . وبعد سنة اخرى انضم الى ما كان يعرف حينئذ (١٩٣١) بالجبهة الوطنية ، وهي ائتلاف من النازي والملكيين لاسقاط الجمهورية

وما لبث النازي حتى خرجوا من هذا الائتلاف بأكيل الظفر ، ومن الاركان التي يعتمدون عليها ، في ظفرهم هذا ، الدكتور شاخت نفسه ، ولعله ادرك حينئذ ، ان امله في الديموقراطية قد انهار ، وان المانيا ، يجب ان تتحد ، « بالدم والحديد » . حتى في ايام ديموقراطيته ، اذ كان عضواً في الحزب الديموقراطي الالماني ، كان ينقد نقداً عنيفاً سياسة الحكومات الجمهورية ، وكان لا يخفي انهُ عدو للاشتراكية . فقد حذر تلك الحكومات ، من التضخيم النقدي ، ومن التمادي في اقتراض القروض القصيرة الآجال . وكثيراً ما وجه النظر الى الصعاب التي تعاني ، في مسألة نقل البضائع والمال ، تسديداً للتعويضات . وكذلك ترى انهُ مع كونهِ قبلاً ، من غير الدعاة للدكتاتورية ، كان يشاطر هؤلاء الدعاة تبرمهم بالحالة السائدة في المانيا ، وغضبهم على اعدائها السابقين

بعد عودتهِ من اميركا درس بين سنة ١٨٩٥ — ١٨٩٩ علوم الاقتصاد ، في جامعات مونيخ وليبزج وبرلين وكيل ، ثم تقلب في المناصب المالية والاقتصادية العالية ، الى ان كانت الحرب الكبرى ، فعين مستشاراً اقتصادياً الادارة الالمانية في البلجيك ثم لما عاد الى المانيا عين مديراً « للناشونالبنك » وفي سنة ١٩٣٢ عين تومبسيراً للنقد ، ومديراً لبنك الريخ . ثم جاءت استقالتهُ من بنك الريخ في عهد الوزير برونتج وعاد اليهِ سنة ١٩٣٣ بعد قيام الحكم النازي

ان شاخت وتيسن Thyssen هما الركنان اللذان يستند اليهما النظام النازي من الناحية الاقتصادية وكلاهما قد خدم امتهُ وبلادهُ أحسن خدمة . ومن الطبيعي ان يكونا غير ميالين الى الاشتراكية . وهذا قد يثير عليهما بعض اعضاء الحزب النازي لان هذا الحزب ، ليس وطنيًّا فقط بل اشتراكيًّا كذلك واسمهُ الرسمي الحزب الوطني الاشتراكي . ولكن المانيا الآن لا تستغني عن شاخت ، لانهُ جمع فضيلتي العلم والخبرة من ناحية والاخلاص في الوطنية من ناحية اخرى